الخميس 05 مارس 2026

مقياس : مناهج وتقنيات البحوث الكيفية في السمعي البصري

المحاضرة الخامسة : المنهج الاثنوغرافي في البحث الكيفي :المفهوم، الأنواع ، الخصائص، خطوات الاستخدام .

تمهيد :

يعتبر المنهج الإثنوغرافي من أبرز المناهج المستخدمة في البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، حيث يقوم على دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية من داخل بيئتها الطبيعية من خلال الملاحظة المباشرة والتفاعل مع الأفراد داخل جماعاتهم، وقد ظهر هذا المنهج في البداية في مجال الأنثروبولوجيا لدراسة المجتمعات التقليدية، ثم توسّع استخدامه ليشمل مجالات متعددة مثل علم الاجتماع، ودراسات الاتصال، والبحوث الإعلامية.

وفي مجال الدراسات السمعية البصرية، يكتسب المنهج الإثنوغرافي أهمية خاصة لأنه يسمح بفهم كيفية إنتاج المعاني داخل الممارسات الإعلامية اليومية، وكيف يتفاعل الأفراد مع الوسائط الإعلامية في سياقاتهم الاجتماعية والثقافية.

1. مفهوم المنهج الإثنوغرافي

تعود كلمة إثنوغرافيا إلى أصل يوناني يتكون من مقطعين Ethnos :وتعني الشعب أو الجماعة Graphyوتعني الوصف أو الكتابة ، وبذلك يشير مصطلح الإثنوغرافيا إلى الوصف العلمي للحياة الاجتماعية والثقافية لجماعة بشرية معينة.

ومن الناحية المنهجية، يُعرَّف المنهج الإثنوغرافي بأنه: مقاربة بحثية كيفية تهدف إلى فهم أنماط الحياة والسلوكيات والمعاني الثقافية داخل جماعة اجتماعية من خلال الملاحظة المباشرة والتفاعل الطويل مع أفرادها في بيئتهم الطبيعية.

ولا يقتصر هدف الإثنوغرافيا على وصف الظواهر، بل يتجاوز ذلك إلى تفسير المعاني الثقافية التي توجه سلوك الأفراد داخل المجتمع.

2. تطور المنهج الإثنوغرافي

ارتبط ظهور الإثنوغرافيا في بداياتها بدراسات الأنثروبولوجيا التي ركزت على دراسة المجتمعات التقليدية، وقد أسهم عدد من الباحثين في تطوير هذا المنهج، من بينهم عالم الأنثروبولوجيا البولندي برونيسلاف مالينوفسكي Malinowski Bronisławالذي اعتمد على الملاحظة بالمشاركة ودراسة الحياة اليومية داخل المجتمعات.

ومع تطور العلوم الاجتماعية، انتقل المنهج الإثنوغرافي إلى مجالات أخرى، فأصبح يُستخدم في دراسة المؤسسات، والثقافات التنظيمية، والممارسات الإعلامية، والجماعات الرقمية.

3. الفرق بين الإثنوغرافيا ، الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا :

المصطلح	المعنى
الإثنوغرافيا	تعني **الوصف الميداني لثقافة جماعة بشرية** من خلال الملاحظة المباشرة والمعايشة ، وهي في الأساس **منهج بحثي** يعتمد على العمل الميداني
الإثنولوجيا	تعني **الدراسة المقارنة للثقافات** ، حيث يقوم الباحث بمقارنة ثقافات أو مجتمعات مختلفة لاستخلاص أوجه التشابه والاختلاف بينها .
الأنثروبولوجيا	هي **العلم الشامل الذي يدرس الإنسان وثقافاته ومجتمعاته** عبر الزمن ، وتشمل فروعا متعددة من بينها الإثنوغرافيا والإثنولوجيا

4. أنواع المنهج الإثنوغرافي

تطورت الإثنوغرافيا مع تطور العلوم الاجتماعية، وظهرت لها عدة أنماط تختلف في منطلقاتها النظرية وأهدافها البحثية.

أ. الإثنوغرافيا الوصفية الكلاسيكية : تعد الشكل التقليدي للمنهج الإثنوغرافي، وتركز أساساً على وصف الثقافة والسلوكيات الاجتماعية داخل جماعة معينة ، وتهدف إلى تقديم وصف تفصيلي للحياة الاجتماعية والثقافية للجماعة المدروسة، وتعتمد هذه المقاربة على:

- ✓ الملاحظة بالمشاركة
- ✓ المعايشة الطويلة للميدان
- ✓ تسجيل الأنشطة اليومية للأفراد

ب . الإثنوغرافيا النقدية : ظهرت الإثنوغرافيا النقدية متأثرة بالنظريات النقدية، وتهدف إلى تجاوز الوصف البسيط للواقع نحو تحليل العلاقات الاجتماعية غير المتكافئة داخل المجتمع ، وبذلك لا تكتفي بوصف الواقع الاجتماعي، بل تسعى إلى تفسيره ونقده ، وتركز هذه المقاربة على:

- ✓ كشف علاقات السلطة
- ✓ تحليل أشكال الهيمنة الثقافية
- ✓ إبراز أصوات الفئات المهمشة

ج . الإثنوغرافيا الافتراضية : مع انتشار شبكة الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، ظهرت الإثنوغرافيا الافتراضية التي تهدف إلى دراسة التفاعلات الاجتماعية داخل الفضاء الرقمي ، وقد أصبحت هذه المقاربة مهمة في دراسة ثقافة الإنترنت والتفاعل مع المحتوى الإعلامي الرقمي ، وتعتمد هذه المقاربة على:

- ✓ متابعة التفاعلات داخل المنصات الرقمية
- ✓ تحليل السلوكيات الرقمية
- ✓ دراسة المجتمعات الافتراضية

5. خصائص المنهج الإثنوغرافي

يتميز المنهج الإثنوغرافي بعدة خصائص منهجية تجعله مناسباً للبحث الكيفي، من أهمها:

- ❖ **الدراسة في البيئة الطبيعية** : تتم الدراسة داخل السياق الاجتماعي الحقيقي دون تدخل تجريبي.
- ❖ **الملاحظة بالمشاركة** : يشارك الباحث في الحياة اليومية للجماعة المدروسة من أجل فهم ممارساتها من الداخل.
- ❖ **التركيز على المعنى الثقافي** : تهتم الإثنوغرافيا بتفسير الرموز والقيم التي تشكل الثقافة الاجتماعية.
- ❖ **الطابع التفسيري** : لا يقتصر البحث على الوصف، بل يسعى إلى تفسير السلوكيات والمعاني.
- ❖ **جمع بيانات متعددة** : تعتمد الإثنوغرافيا على مصادر متنوعة مثل الملاحظات والمقابلات والوثائق.

6. خطوات استخدام المنهج الإثنوغرافي

تمر الدراسة الإثنوغرافية عادة بعدة مراحل منهجية متكاملة:

- **اختيار المجال البحثي** : يقوم الباحث بتحديد الجماعة أو البيئة الاجتماعية التي يرغب في دراستها، مثل: جماعة مهنية ، مؤسسة إعلامية ، جمهور وسيلة إعلامية ، مجتمع رقمي .
- **الدخول إلى الميدان** : تتطلب الدراسة الإثنوغرافية إقامة علاقة تواصل وثقة مع أفراد الجماعة المدروسة، حتى يتمكن الباحث من ملاحظة سلوكياتهم بشكل طبيعي.
- **الملاحظة بالمشاركة** : يقوم الباحث بمراقبة الأنشطة اليومية للجماعة، وقد يشارك فيها لفهمها من الداخل.
- **جمع البيانات** : تُجمع البيانات من خلال: الملاحظات الميدانية ، المقابلات ، الوثائق ، التسجيلات السمعية البصرية .

- **تحليل البيانات** : يتم تحليل البيانات بطريقة تفسيرية بهدف الكشف عن الأنماط الثقافية والمعاني الاجتماعية التي تحكم سلوك الجماعة.
- **كتابة التقرير الإثنوغرافي** : في المرحلة الأخيرة، يقوم الباحث بتقديم وصف تحليلي للحياة الاجتماعية للجماعة المدروسة، مع تفسير المعاني الثقافية التي تم الكشف عنها.

7. أهمية المنهج الإثنوغرافي في الدراسات السمعية البصرية

يسمح المنهج الإثنوغرافي بفهم كيفية إنتاج الخطاب الإعلامي واستهلاكه داخل السياقات الاجتماعية المختلفة، كما يساعد على تحليل الممارسات الإعلامية اليومية للجمهور داخل بيئته الطبيعية ، ولهذا يُستخدم في دراسة:

- ثقافة غرف الأخبار
- الممارسات المهنية في المؤسسات الإعلامية
- تفاعل الجمهور مع الوسائط الرقمية
- استخدام وسائل الإعلام في الحياة اليومية.

خلاصة

يعتبر المنهج الإثنوغرافي من أهم المناهج الكيفية التي تسمح بفهم الظواهر الاجتماعية والثقافية من داخل سياقها الطبيعي، وقد تطور هذا المنهج من الإثنوغرافيا الكلاسيكية التي ركزت على وصف الثقافة إلى مقاربات حديثة مثل الإثنوغرافيا النقدية والافتراضية، ويتميز هذا المنهج باعتماده على الملاحظة المباشرة والمشاركة في الحياة اليومية للجماعات المدروسة، مما يتيح للباحث فهماً عميقاً للممارسات الاجتماعية والمعاني الثقافية التي تحكمها.